آثار المعاصي والذنوب

مواقــف عربيــة

آثار المعاصي والذنوب

المعصية لغة: الخروج عن الطاعة ومخالفة الأمر.

واصطلاحا: ما يثاب على تركه ويعاقب على فعله، ويرادفها: المحظور والحرام والذنب، وإذا كانت المعصية عبارة عن مخالفة أمر الله وطاعته مما يوجب سخط الله تعالى ويتوجب العقاب فاعلم أنها تنتج عن مجموعة صفات في الإنسان كل منها يتعلق به أنواع من المعاصى تختلف عن الأنواع الأخرى وهذه الصفات هى:

- **صفات ربوبية:** ومنها يحدث الكبر والفخر، وحب المدح والثناء، والعز، وطلب الإستعلاء، ونحو ذلك، وهذه ذنوب مهلكات،وبعض الناس يغفل عنها فلا يعدها ذنوبا.

- **صفات شيطانية:** ومنها يتشعب الحسد، والبغى، والحيل، والخداع، والمكر والغش، والنفاق، والأمر بالفساد، ونحو ذلك.

- **صفات بهيمية:** ومنها يتشعب الشر، والحرص على قضاء شهوتى البطن والفرج، فيتشعب من ذلك الزنا، واللواط، والسرقة، وأخذ الحطام لأجل الشهوات.

- **صفات سبعية:** ومنها يتشعب الغضب، والحقد، والتهجم على الناس بالقتل والضرب، وأخذ الأموال، وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة.

فالصفة البهيمية هى التي تغلب أولا، ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا، فإذا اجتمعت هاتان استعملت العقل في الصفات الشيطانية من المكر والخداع، ثم تغلب الصفات الربوبية، فهذه أمهات المعاصى ومنابعها، ثم تنفجر المعاصى من هذه المنابع إلى الجوارح،فبعضها في القلب كالكفر، والبدعة والنفاق وإضمار السوء، وبعضها في العين، وبعضها في السمع، وبعضها في اللسان، وبعضها في البطن والفرج، وبعضها في اليدين والرجلين، وبعضها في جميع البدن، وهذا كله واضح لا يحتاج إلى تفصيل.

وقد اختلف الفقهاء في تصنيف الذنوب والمعاصى على ثلاثة أوجه:

الأول: أنها تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهو المشهور بين الفقهاء، ويساعدهم إطلاقات الكتاب والسنة، لقوله تعالى: {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ} [الحجرات: ٧]، فجعل الفسوق وهو الكبائر تلى رتبة الكفر، وجعل الصغائر تلى رتبة الكبائر وقد خصص النبى صلى الله عليه وسلم باسم الكبائر.

الثانى: أن الذنوب كلها قسم واحد وهو الكبائر، وهو طريقة جمع عند الأصوليين منهم الأستاذ أبو إسحاق، ونفى الصغائر، وجرى عليه إمام الحرمين في الإرشاد، وابن فورك في كتابه " مشكل القرآن " فقال: المعاصى عندنا كبائر، وإنما يقال لبعضها: صغيرة بالنسبة إلى ما هو أكبر منها كما يقال: الزنا صغيرة بالنسبة إلى الكفر، والقبلة المحرمة صغيرة بالنسبة إلى الزنا، وكلها كبائر.

الثالث: أن المعاصى تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **كبيرة:** كقتل النفس بغير حق.
- **فاحشة:** قتل ذا رحم.
- **صغيرة:** سائر الذنوب كالخدشة والضرب مرة أو مرتين.

ويظهر من هذه الأقوال أن الخلاف لفظى، فإن رتبة الكبائر تتفاوت قطعا واختلف العلماء في تعريف الكبيرة اختلافا كبيرا، كذلك اختلفوا في حصرها وعدد أنواعها. لكن الصحيح كما قال الواحدى في البسيط: إنه ليس للكبائر حد يعرفه العباد،وتتميز به عن الصغائر تمييز إشارة، ولو عرف ذلك لكانت الصغائر مباحة، ولكن الله تعالى أخفى ذلك عن العباد ليجتهد كل واحد في اجتناب ما نهى عنه، رجاء أن يكون مجتنبا للكبائر، ونظيره إخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات، وليلة القدر في رمضان. هل الإصرار على الصغائر يجعلها في منزلة الكبائر أم لا؟ نجد عند الأصوليين أن الإصرار له معنيان:

أحدهما: العزم على فعل المعصية بعد الفراغ منها.

والثانى: المداومة على فعل الصغائر.

وحكم الإصرار بالمعنى الأول حكم من كررها فعلا فيتحمل بذلك إثما، وحكم الإصرار بالمعنى الثانى أنه إن كان على نوع واحد من الصغائر غفرت بكثرة الطاعات،وإن كان الإصرار على أنواع متعددة لا تغفر بكثرة الطاعات بل لابد من التوبة عنها حتى تغفر.

أضرار المعاصي:

قال ابن القيّم رحمه الله: ممّا ينبغي أن يعلم: أنّ الذّنوب والمعاصي تضرّ، ولا بدّ أنّ ضررها في القلب كضرر السّموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضّرر. وهل في الدّنيا والآخرة شرّ وداء إلاّ بسبب الذّنوب والمعاصي؟

فما الّذي أخرج الأبوين من الجنّة، دار اللّذّة والنّعمة والبهجة والسّرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الّذي أخرج إبليس من ملكوت السّماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدّل بالقرب بعدا، وبالرّحمة لعنة، وبالجمال قبحا، وبالجنّة نارا تلظّى، وبالإيمان كفرا؟

وما الّذي أغرق أهل الأرض كلّهم حتّى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟. وما الّذي سلّط الرّيح على قوم عاد حتّى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنّهم أعجاز نخل خاوية، ودمّرت ما مرّت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابّهم حتّى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الّذي أرسل على قوم ثمود الصّيحة حتّى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الّذي رفع اللّوطيّة حتّى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثمّ قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعا؟

وما الّذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظّلل، فلمّا صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارا تلظّى؟

وما الّذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثمّ نقلت أرواحهم إلى جهنّم، والأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟.

وما الّذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الّذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمّرها تدميرا؟

وما الّذي أهلك قوم صاحب يس بالصّيحة حتّى خمدوا عن آخرهم؟

وما الّذي بعث على بني إسرائيل قوما أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الدّيار وقتلوا الرّجال، وسبوا الذرّيّة والنّساء، وأحرقوا الدّيار، ونهبوا الأموال، ثمّ بعثهم عليهم مرّة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبّروا ما علوا تتبيرا؟.

وقال الله تعالى:{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾} [البقرة: ٦١].

وقال الله تعالى:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾} [آل عمران: ١١٠ - ١١٢].

وقال الله تعالى:{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾} [آل عمران: ١٥٢])

وقال الله تعالى:{ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ } [المائدة: ٧٨].

وقال الله تعالى:{ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ } [يونس: ٩٠ - ٩٢].

وقال الله تعالى:{ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۖ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ } [هود: ٥٩ - ٦٠].

وقال الله تعالى:{ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ } [طه: ١١٧ - ١٢١].

وقال الله تعالى:{ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ } [الحاقة: ٩ - ١٠].

وقال الله تعالى:{ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ } [المزمل: ١٥ - ١٦].

وقال الله تعالى:{ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ } [النازعات: ١٥ - ٢٦].

وقال الله تعالى:{ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ } [النساء: ٤١ - ٤٢].

وقال الله تعالى:{ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ

أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾} [الأنعام: ١٣ - ١٥].

وقال الله تعالى:{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾} [يونس: ١٣ - ١٥].

وقال الله تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا } [الأحزاب: ٣٦].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال:"**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**-(1).

ويقول النبي ﷺ :"**إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج**-(2).

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**يا عائشة! إياك ومحقرات الأعمال فإن لها من الله طالبا**-(3).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: "**لو غفر لكم ما تأتون**(4) **إلى البهائم لغفر لكم**(5)**كثيرا**-(6).

---

(1) سنن ابن ماجه المقدمة (90)، مسند أحمد بن حنبل (282/5).

(2) مسند أحمد بن حنبل (145/4).

(3) ابن ماجه (4243) باب ذكر الذنوب، تعليق الألباني " صحيح "، ابن حبان (5542) تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده صحيح على شرط البخاري ".

(4) ما تأتون البهائم: أي: من نحو ضرب وإجهاد وتحميل فوق طاقة.

(5) لغفر لكم كثير: أي: لغفر لكم شيء عظيم من الإثم.

(6) أحمد (27526)، تعليق الألباني " حسن "، صحيح الجامع (5274)، الترغيب والترهيب (2476)، الصحيحة (514).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: "**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه**-[1].

عن أرطأة بن المنذر عن أبي عامر الألهاني عن ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال:"**لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا** -قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال:"**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**-[2].

و عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :"**إِذَا ظَهَرَ السُّوءُ فِي الْأَرْضِ أَنْزَلَ الله تَعَالَى بَأْسَهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ**-، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَالِحُونَ؟ قَالَ: "**نَعَمْ، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَالِحُونَ، يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى رَحْمَةِ الله**-[3].

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه "لا تصحب الفجّار لتعلم من فجورهم، واعتزل عدوّك، واحذر صديقك إلاّ الأمين - ولا أمين إلاّ من خشي الله - وتخشّع عند القبور، وذلّ عند الطّاعة، واستعصم عند المعصية، واستشر الّذين يخشون الله.

وعن عمر رضي الله عنه قال: يا أهل مكّة اتّقوا الله في حرمكم هذا: أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا من قبلكم؟ كانوا فيه بنو فلان.

---

(1) المعجم الكبير (5872)، واللفظ له، أحمد (3818)، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع (2686)، الصحيحة (389)، (3102).

(2) أخرجه ابن ماجه (1418/2، رقم 4245)، قال البوصيرى (246/4): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والرويانى.
(425/1، رقم 651). وأخرجه أيضًا : الطبرانى في الأوسط (46/5، رقم 4632)، وفى الصغير (396/1، رقم 662)، والديلمى (131/5، رقم 7715).

(3) أخرجه أحمد (304/6، رقم 26638)، والطبرانى (325/23، رقم 747). قال الهيثمى (268/7): رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

فأحلّوا حرمته فهلكوا، وبنو فلان فأحلّوا حرمته فهلكوا، حتّى عدّ ما شاء الله، ثمّ قال: والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحبّ إليّ من أعمل واحدة بمكّة.

وقال عمر رضي الله عنه يوما لأصحاب النّبيّ ﷺ :"**فيم ترون هذه الآية نزلت :** { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ } [البقرة: ٢٦٦]ـــ. قالوا : الله أعلم. فغضب عمر. فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عبّاس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا بن أخي قل ولا تحقّر نفسك.

قال ابن عبّاس: ضربت مثلا لعمل. قال عمر : أيّ عمل؟ قال ابن عبّاس: لعمل. قال عمر: لرجل غنيّ يعمل بطاعة الله عز وجل ثمّ بعث الله له الشّياطين فعمل بالمعاصي حتّى أغرق أعماله.

عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: توشك القرى أن تخرب وهي عامرة. قيل : وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجّارها أبرارها، وساد القبيلة منافقوها.

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لفضيل بن زيد الرّقاشيّ قال: لا يلهينّك النّاس عن ذات نفسك، فإنّ الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع النّهار بكيت وكيت؛ فإنّه محفوظ عليك ما قلته، ولم تر شيئا أحسن طلبا، ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثه لذنب قديم.

عن عائشة رضي الله عنه قالت: أقلّوا الذّنوب فإنّكم لن تلقوا الله بشيء أفضل من قلّة الذّنوب.

قال رجل لابن عبّاس رضي الله عنه: أرأيت رجلا كثير الذنوب كثير العمل أو رجلا قليل الذّنوب قليل العمل؟ قال ما أعدل بالسّلامة شيئا.

قال أبو أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه إنّ الرجل ليعمل الحسنة حتّى يأتي الله وقد حظر به، وإنّ الرّجل ليعمل السّيّئة فيفرق منها حتّى يأتي الله آمنا.

كتب أبو الدّرداء إلى سلمة بن مخلد: أمّا بعد، فإنّ العبد إذا عمل بطاعة الله أحبّه الله، وإذا أحبّه الله حبّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه بغّضه إلى خلقه.

عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: ليحذر امرؤ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثمّ قال: تدري ممّ هذا؟ قلت: لا. قال: إنّ العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى :{ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ} [آل عمران: ١٠٢]، قال: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا.

عن أبي الشّعثاء رضي الله عنه قال: كنّا قعودا في المسجد مع أبي هريرة فأذّن المؤذّن، فقام رجل من المسجد يمشي. فأتبعه أبو هريرة بصره حتّى خرج من المسجد. فقال أبو هريرة: أمّا هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ .

عن سعيد بن المسيّب رضي الله عنه قال: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ : أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرّا وأنت تجد لها في الخير محملا، ومن عرّض نفسه للتّهم فلا يلومنّ إلاّ نفسه، ومن كتم سرّه كانت الخيرة في يده، وما كافيت من عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه.

قال كعب - رحمه الله -: إنّما تزلزل الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي فترعد فرقا من الرّبّ جلّ جلاله أن يطّلع عليها.

قال الحسن البصريّ - رحمه الله -: إنّ الرّجل يذنب الذّنب فما ينساه وما يزال كئيبا حتّى يدخل الجنّة.

وقال أيضا: إنّ المؤمن لا يصبح إلاّ خائفا ولا يصلحه إلاّ ذاك، لأنّه بين ذنبين؛ ذنب مضى لا يدري كيف يصنع الله فيه وآجل أو قال آخر لا يدري ما كتب عليه فيه.

وقال أيضا: اعملوا لله بالطّاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تردّ عليكم. إنّ المؤمن جمع إيمانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا.

سئل الحسن البصريّ - رحمه الله -:

ما برّ الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به إلاّ أن يكون معصية.

قال الإمام عليّ زين العابدين:

ليس الغريب غريب الشّام واليمن ... إنّ الغريب غريب اللّحد والكفن
إنّ الغريب له حقّ لغربته ... على المقيمين في الأوطان والسّكن
لا تنهرنّ غريبا حال غربته ... الدّهر ينهره بالذّلّ والمحن
سفري بعيد وزادي لن يبلّغني ... وقوّتي ضعفت والموت يطلبني
ولي بقايا ذنوب لست أعلمها ... الله يعلمها في السرّ والعلن
ما أحلم الله عنّي حيث أمهلني ... وقد تماديت في ذنبي ويسترني

وقال أيضا:

يا نفس كفي عن العصيان واكتسبي ... فعلا جميلا لعلّ الله يرحمني
يا نفس ويحك توبي واعملي حسنا ... عسى تجازين بعد الموت بالحسن

عن جبير بن نفير قال: لمّا فتحت قبرص فرّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض فرأيت أبا الدّرداء جالسا وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟

فقال: ويحك يا جبير. ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره. بينما هي أمّة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

قال سفيان: من أذنب ذنبا فعلم أنّ الله تعالى قدّره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه.

وذكر عن مالك بن دينار قال: قرأت في الحكمة: يقول الله عز وجل:"أنا الله مالك الملوك. قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبّ الملوك، ولكن توبوا إليّ أعطّفهم عليكم".

قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله -

أيضمن لي فتى ترك المعاصي : وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا :: ولم يتجرّعوا غصص المعاصي

عن عبد الله بن المبارك، في ذكر شروط التّوبة، قال: النّدم، والعزم على عدم العود، وردّ المظلمة وأداء ما ضيّع من الفرائض، وأن يعمد إلى البدن الّذي ربّاه بالسّحت فيذيبه بالهمّ والحزن حتّى ينشأ له لحمًا طيبًا، وأن يذيق نفسه ألم الطّاعة، كما أذاقها لذّة المعصية.

عن عروة بن عامر - رحمه الله - قال:

المؤمن تعرض عليه ذنوبه يوم القيامة فيمرّ بالذّنب من ذنوبه يقول: أمّا إنّي كنت منك مشفقا فيغفر له.

قال طلق بن حبيب: التّقوى : العمل بطاعة الله رجاء رحمة الله، على نور من الله، والتّقوى ترك معاصي الله، مخافة عقاب الله، على نور من الله.

قال مالك - رحمه الله -: دخل عمر بن عبد العزيز على فاطمة امرأته فطرح عليها خلق ساج عليه، ثمّ ضرب على فخذها فقال: يا فاطمة لنحن ليالي دابق أنعم منّا اليوم، فذكّرها ما كانت نسيته من عيشها، فضربت يده ضربة فيها عنف فنحّتها عنها وقالت: لعمري لأنت اليوم أقدر منك يومئذ، فقام وهو يقول بصوت حزين: يا فاطمة إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم. فبكت فاطمة وقالت: اللّهمّ أعذه من النّار.

عن الفضيل بن عياض قال: أوحى الله إلى بعض الأنبياء: إذا عصاني من يعرفني سلّطت عليه من لا يعرفني.

قال ابن السمّاك الواعظ:

::
يا مدمن الذّنب أما تستحي : والله في الخلوة ثانيكا؟
أغرّك من ربّك إمهاله :: وستره طول مساويكا؟
:

قال أبو عمران السّلميّ منشدا:

::
وإنّي لآتي الذّنب أعرف قدره : وأعلم أنّ الله يعفو ويغفر
لئن عظّم النّاس الذّنوب فإنّها :: وإن عظمت في رحمة الله تصغر
:

عن العبّاس العمّيّ - رحمه الله - قال:"بلغني أنّ داود عليه السلام قال: سبحانك تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على من في السّماوات والأرض، فأقرب خلقك إليك أشدّهم لك خشية، وما علم من لم يخشك، وما حكمة من لم يطع أمرك؟.

قال الشّافعيّ - رحمه الله -:

::
تعصي الإله وأنت تظهر حبّه : هذا وربّي في القياس بديع
لو كان حبّك صادقا لأطعته :: إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع
:

قال محمود الورّاق:

::
:
هذا الدّليل لمن أرا وأراد :: دغنى يدوم بغير مال
عزّا لم توطّ : ده العشائر بالقتال
ومهابة من غير سل :: طان وجاها في الرّجال
فليعتصم بدخوله : في عزّ طاعة ذي الجلال
::
:

وخروجه من ذلّة العاصي له في كلّ حال

قال إبراهيم الألبيريّ:

ونفسك ذمّ لا تذمم سواها ... لعيب فهي أجدر من ذممتا
فأنت أحقّ بالتّفنيد منّي ... ولو كنت اللّبيب لما نطقتا
ولو بكت الدّما عيناك خوفا ... لذنبك لم أقل لك قد أمنتا
ومن لك بالأمان وأنت عبد ... أمرت فما ائتمرت ولا أطعتا
ثقلت من الذّنوب ولست تخشى ... لجهلك أن تخفّ إذا وزنتا

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: لفظ المعصية والفسوق والكفر إذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق كقوله: {وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا} [الجن: ٢٣]، وقال تعالى:{ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾} [هود: ٥٩].

قال جمال الدّين الصّرصريّ:

أنا العبد الّذي كسب الذنوبا ... وصدّته الأماني أن يتوبا
أنا العبد الّذي أضحى حزينا ... على زلاّته قلقاً كئيبا
أنا العبد الّذي سطرت عليه ... صحائف لم يخف فيها الرّقيبا
أنا العبد المسيء عصيت سرّا ... فمالي الآن لا أبدي النّحيبا

قال ابن القيّم - رحمه الله - من أعجب الأشياء أن تعرفه ثمّ لا تحبّه، وأن تسمع داعيه ثمّ تتأخّر عنه الإجابة. وأن تعرف قدر الرّبح في معاملته ثمّ تعامل غيره. وأن تعرف قدر غضبه ثمّ تتعرّض له. وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثمّ لا تطلب الأنس بطاعته. وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثمّ لا تشتاق إلى انشراح الصّدر بذكره ومناجاته. وأن تذوق العذاب عند تعلّق القلب بغيره، ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه.

وقال - رحمه الله - مثال تولّد الطّاعة ونموّها وتزايدها كمثل نواة غرستها فصارت شجرة ثمّ أثمرت فأكلت ثمرها وغرست نواها، فكلّما أثمر منها شيء جنيت ثمره وغرست نواه وكذلك تداعي المعاصي، فليتدبّر اللبيب هذا المثال.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله:

قد ذكر غير واحد أنّ عروة بن الزّبير لمّا خرج من المدينة متوجّها إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة كان مبدؤها هناك، فظنّ أنّها لا يكون منها ما كان، فذهب في وجهه ذلك، فما وصل إلى دمشق إلاّ وهي قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له الأطبّاء العارفين بذلك، فاجتمعوا على أنّه إن لم يقطعها وإلاّ أكلت رجله كلّها إلى وركه، وربّما ترقّت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها، وقالوا: ألا نسقيك مرقّدا حتّى يذهب عقلك منه فلا تحسّ بألم النّشر؟ فقال: لا والله ما كنت أظنّ أحدا يشرب شرابا أو يأكل شيئا يذهب عقله، ولكن إن كنتم لا بدّ فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصّلاة، فإنّي لا أحسّ بذلك، ولا أشعر به. قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة من المكان الحيّ، احتياطا أنّه لا يبقى منها شيء، وهو قائم يصلّي، فما تضوّر ولا اختلج، فلمّا انصرف من الصّلاة عزّاه الوليد في رجله، فقال: اللّهمّ لك الحمد، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحدا فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت وإن كنت قد أبليت فلطا لما عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت، فلمّا قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة، فبلغه أنّ بعض النّاس قال: إنّما أصابه ذلك بذنب عظيم أحدثه، فأنشد عروة في ذلك، والأبيات لمعن بن أوس:

لعمرك ما أهويت كفّي لريبة ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولست بماش ما حييت لمنكر ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة وأعلم أنّي لم تصبني مصيبة من الدّهر إلاّ قد أصابت فتى مثلي

ولا حملتني نحو فاحشة رجلي ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي

:

قال الأمير الصّنعانيّ:

::

:

القلب أعلم يا عذول بدائه :: ما غير داء الذّنب من أدوائه
والذّنب أولى ما بكاه أخو التّقى : وأحقّ منك بجفنه وبمائه
فومن أحبّ لأعصينّ عواذلي :: قسما به في أرضه وسمائه
من ذا يلوم أخا الذنوب إذا بكى : إنّ الملامة فيه من أعدائه

::

:

قال الشّاعر:

::

:

إذا كنت في نعمة فارعها :: فإنّ الذّنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة ربّ العباد : فربّ العباد سريع النّقم
وإيّاك والظّلم مهما استطعت :: فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى : لتبصر آثار من قد ظلم

::

:

وقال شاعر آخر:

اعتبر يأيّها المغرور بالعمر المديد

::

:

أنا شدّاد بن عاد :: صاحب الحصن المشيد
وأخو القوّة والبأ : ساء والملك الحشيد
دان أهل الأرض طرّا :: لي من خوف وعيدي
وملكت الشّرق والغر : ب بسلطان شديد
فأتى هود وكنّا :: في ظلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا : هـ إلى الأمر الرّشيد
فعصيناه ونادى :: ما لكم هل من محيد؟
فأتتنا صيحة ته : وي من الأفق البعيد
فمضينا كزروع :: وسط بيداء حصيد

:

::

وقال آخر:

رأيت الذّنوب تميت القلوب ... ويورثها الذّلّ إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وقال آخر:

خلّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التّقى
واصنع كماش فوق أر ... ض الشّوك يحذر ما يرى
لا تحقرنّ من الذنوب صغيرة ... إنّ الجبال من الحصى

وقال آخر:

أذنبت كلّ ذنوب لست أنكرها ... قد رجوتك يا ذا المنّ تغفرها
أرجوك تغفرها في الحشر يا سندي ... إذ كنت يا أملي في الأرض تسترها

وقال آخر:

ذنوبك يا مغرور تحصى وتحسب ... وتجمع في لوح حفيظ وتكتب
وقلبك في سهو ولهو وغفلة ... وأنت على الدّنيا حريص معذّب
تباهي بجمع المال من غير حلّه ... وتسعى حثيثا في المعاصي وتذنب
أما تذكر الموت المفاجيك في غد ... أما أنت من بعد السّلامة تعطب

من مضار المعاصي:

- حرمان العلم، فإنّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفأ ذلك النّور.

- حرمان الرّزق، فكما أنّ التّقوى مجلبة للرّزق، فترك التّقوى مجلبة للفقر.

- حرمان الطّاعة، فلو لم يكن للذّنب عقوبة إلاّ أن يصدّ عن الطّاعة لكان في ذلك كفاية من الحرمان.

- أنّ المعاصي توهن القلب والبدن.

- أنّ المعاصي تقصّر العمر، وتمحق البركة.

- أنّ المعاصي تزرع أمثالها، ويولّد بعضها بعضا.

- أنّ الذّنوب تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التّوبة شيئا فشيئا إلى أن تنسلخ من القلب إرادة التّوبة بالكلّيّة.

- أنّ كلّ معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمّة من الأمم الّتي أهلكها الله عز وجل.

- أنّ المعصية سبب لهوان العبد على ربّه.

- أنّ غير المذنب من النّاس والدوابّ يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذّنوب والظّلم.

- أنّ العبد لا يزال يرتكب الذّنب حتّى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك، فإنّ الذّنب كلّما صغر في عين العبد عظم عند الله.

- أنّ المعصية تورث الذّلّ، والعزّ كلّ العزّ في طاعة الله.

- أنّ المعاصي تفسد العقل، فإنّ للعقل نورا، والمعصية تطفأ نور العقل، وإذا طفيء نوره ضعف ونقص.

- أنّ الذّنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين، قال الله تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾} [المطففين: ١٤].

- أنّ الذنوب تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهواء والزّروع والثمار والمساكن، قال تعالى: { ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ } [الروم: ٤١].

- ذهاب الحياء الّذي هو مادّة حياة القلب، وهو أصل كلّ خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه، وقد صحّ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: "**الحياء خير كلّه** - رواه البخاريّ ومسلم.

- أنّ الذنوب دليل ضعف إيمان العبد، وجرأته على ارتكاب المعاصي دليل على ظلمة قلبه، وانعدام بصيرته، وحرمانه من توقير ربّه سبحانه وتعالى واستشعار عظمته.

- أنّها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه. وهناك الهلاك الّذي لا يرجى معه نجاة.

- أنّ الذّنوب تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه ثواب المحسنين، فإنّ الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي.

- أنّها تزيل النّعم وتحلّ النّقم، فما زالت عن العبد نعمة إلاّ بذنب ولا حلّت به نقمة إلاّ بذنب، قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :"ما نزل بلاء إلاّ بذنب وما رفع إلاّ بتوبة".

قال تعالى: { وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ } [الشورى: ٣٠].

وقوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ } [الأنفال: ٥٣].

ومن المواقف:

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا:

وذكر الإمام النووي رحمه الله في كتاب الأذكار عن يحيى القساني عن بعض أهل الكتاب قال: أصاب الناس قحط في عهد داؤود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفوا عمن ظلمنا، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا.

وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا، اللهم إنا أرقاؤك فلعتقنا. وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في توراتك ألاَّ نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكين وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا، فسقوا.

وكان إذا قيل لعيسى عليه السلام : كيف أصبحت؟ يقول: أصبحت لا أملك تقديم ما أرجوا ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني (أي إلى الله عز وجل صاحب الخير والغنى).

ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا:

قال شقيق بن إبراهيم: مر أبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا أبا إسحاق إنّ الله يقول في كتابه: {ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ} [غافر: ٦٠]، ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا، فقال إبراهيم: يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم في عشرة أشياء، **أولها:** عرفتم الله ولم تؤدوا حقه: **والثاني:** قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به، **والثالث:** ادعيتم حب رسول الله عليه السلام وتركتم سنته، **والرابع:** ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، **والخامس:** قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، **والسادس:** قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، **والسابع:** قلتم إنّ الموت حق ولم تستعدوا له، **والثامن:** اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، **والتاسع:** أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، **والعاشر:** دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم[1].

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 45.

اضرب رأساً طالما عصى الله:

قال ابن الجوزي: كان إبراهيم بن أدهم يحفظ البساتين، فجاءه يوماً جندي يطلب منه شيئاً من الفاكهة، فأبى فضربه على رأسه بسوط، فطأطأ إبراهيم له رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله فعرفه الجندي وأخذ في الاعتذار إليه فقال إبراهيم: الرأس الذي يليق له الاعتذار تركته ببلخ[1].

ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك:

لو أن للذنوب ريحاً ما جلس إلي منكم أحد:

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ما أكثر الداعين لك! فتغرغرت عيناه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً، وقال: قال محمد بن واسع: لو أن للذنوب ريحاً ما جلس إلي منكم أحد.

ولعنتي تبلغ السابع من الولد:

قال ابن القيم: ذكر الإمام أحمد عن وهب: أن الرب تبارك وتعالى قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل: " إني إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد ".

فلا تطفئه بالمعصية:

قال مالك بن أنس للإمام الشافعي إن الله عز وجل قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية.

اتق الله واجتنب المعاصي:

وقال الشافعي لما رحلت الى مالك فسمع كلامي نظر الي ساعة وكانت لمالك فراسة فقال ما اسمك قلت محمد قال يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن فقلت نعم وكرامة فقال إذا كان غدا تجيء ويجيء من يقرأ لك الموطأ فقلت إني أقرأه ظاهرا فغدوت اليه وابتدأت

(1) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى 1418هـ - 1998م، 1 / 8، 123، 2 / 162، 164.

فكلما تهيبت مالكا وأردت ان أقطع أعجبته قراءتي وأغراني بقول زد يا فتى حتى قرأته عليه في أيام يسيرة ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك رضي الله عنه ثم ذكر خروجه إلى اليمن.

عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك [1].

فقطعه ومات:

قال: حدثنا الأوزاعي قال: كنا بالساحل فجيء بفحل لينزى على أمه، فأبى. فأدخلوها بيتاً، وألقوا على الباب ستراً، وجللوها بكساءٍ. قال: فلما نزا عليها وفرغ شم ريح أمه. قال: فوضع أسنانه في أصل ذكره فقطعه ومات [2].

* * *

(1) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، - 1423 هـ - 2002 م، 2 / 90.

(2) ابن الكلبي، أنساب الخيل، 1 / 1.